



تاريخ وواقع التمسك بالعقيدة الأشعرية بإفريقيا

ذ. جده حسن جمعة

عضو فرع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة بنجيريا

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على النبي الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فالمذهب الأشعري تأصيل ما عليه السلف الصالح في مسائل الذات والصفات والبعد عن ما يوهم التشبيه والتعطيل. فقد ورد في تاريخ ابن خلدون عند التطرق لعلم الكلام: «أما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح أدلتها، وعلموا استحالة التشبيه. وقضوا بأن الآيات من كلام الله فأمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث أو تأويل، وهذا معنى قول الكثير منهم إقرؤوها كما جاءت؛ أي: آمنوا بها كما جاءت من عند الله».

وواصل العلامة ابن خلدون أنه لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء، وألف المتكلمون في التنزيه، حدثت بدعة المعتزلة فنفاوا صفات المعاني وقضوا بخلق القرآن، فقام أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه، وأثبت الصفات المعنوية..

وذكر الشيخ إبراهيم صالح الحسيني في كتابه «العقيدة المنجية» أن المذاهب المعمول بها بين المسلمين تنقسم إلى ثلاثة: المعتزلة، والمشيبة، وأهل السنة والجماعة، وذكر أن جميع أصحاب المذاهب هم من أهل السنة؛ كمالك والشافعي وابن حنبل، والحرث المحاسبي، وأن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة كما هو مشهور في ديار خراسان والعراق والشام، وأكثر الأقطار الإسلامية. ونقل عن العزبن عبد السلام أن عقيدة الأشعري أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة. وفي كتابه الذي صدر حديثاً بعنوان: «الاقتصاد في تصحيح قواعد الاعتقاد» بسّط



الشيخ إبراهيم صالح الحديث عن أهل السنة والجماعة، وأورد كلام العلامة ابن طاهر البغدادي الذي صنّف أهل السنة والجماعة إلى ثمانية أصناف، وذكر من بينهم الصنف الأول وأنهم أحاطوا علماً بأبواب التوحيد، والنبوة، وأحكام الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وشروط الاجتهاد، والأمانة والزعامة، وسلوكوا في هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرأوا من التشبيه والتعطيل، ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنجارية، وسائر أهل الضلال.

وعليه، فإن المحققين من علماء الأمة من السلف الصالح قضوا بأن مذهب الإمام الأشعري في العقيدة هو مذهب أهل السنة والجماعة، ولم يقل بغيره إلا من حاد عن فهم إجماع الأمة.

1 - إمام المذهب الأشعري:

إمام المذهب الأشعري هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (260هـ-324هـ)، وهو من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري. وُلد في البصرة وتوفي في بغداد. يعتبر من أئمة المتكلمين، وقد سلك مذهب المعتزلة في بداية عهده، ثم رجع عنه حتى جاهر بخلافهم، وردّ على الملحدة والمعتزلة والمشبهة والجهمية والخوارج وغيرها من الفرق، وصنّف الكثير من المؤلفات، وانتشر مذهبه انتشاراً واسعاً خاصة في البلاد التي اعتنق أصحابها مذهب الإمام مالك والشافعي.

وانتشر مذهبه بين كثير من علماء الأمصار من أهل السنة والجماعة كابن مجاهد، والقاضي الباقلاني، وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، والإمام الغزالي، وابن الخطيب..

وفي «سراج السالك شرح أسهل المسالك»، ذكر المؤلف في شرحه على البيت التالي:

والأشعري قُدوةٌ مُقدِّمٌ جُنيداً طريقه مَقومٌ



والأشعري هو الإمام أبو الحسن واضح علم العقائد التي علمها علماء أهل السنة، وهو قدوة يجب الاقتداء به والتمسك بالعقائد التي وضعها وبيّنها مطابقة للواقع، فهو مقدّم في هذا الفن على غيره؛ يعني في العقائد وكل من تبعه فهو من الفرقة الناجية.

2 - انتشار المذهب الأشعري ووصوله إلى إفريقيا عبر المغرب:

ذكر ابن خلدون في مقدمته تنازع أهل السنة حول علم الكلام بين مؤيد له ورافض، وأن أبا الحسن الأشعري جمعه وجعل منه فناً لخدمة عقيدة أهل السنة والجماعة. وتم نشره بين علماء الأمة الإسلامية. وأدرج في كلامه عن انتشار المذهب الأشعري أن ممن اقتفى أثر أبي الحسن الأشعري تلميذه ابن مجاهد، وأخذ عنه القاضي أبو بكر الباقلاني، وعنه إمام الحرمين أبو المعالي، ثم من سلك طريق الفلاسفة في دحض حججهم على عقائد أهل الإيمان، كالإمام الغزالي رحمه الله، والإمام ابن الخطيب، وجماعة كثير.

كما ذكر الأستاذ عبد المجيد في مقال له عن انتشار الأشعرية بإفريقيا: أن المذهب الأشعري تأسس في القيروان في القرن الرابع الهجري على يد إبراهيم القلانسي، ثم وصل إلى الأندلس، وبعدها إلى مصر، وكان لجامع القرويين الدور الأبرز في نشر المذهب الأشعري.

وبذلك انتشر مذهب الأشعري عبر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، كمملكة السنغاي، وماسينا، وكانم برنو، وصكتو، وقد سهّل الانتشار الواسع لهذه العقيدة انتشار الطريقة التيجانية في هذه المناطق، وتقبّل شعوبها، فقد ذكر الأستاذ أحمد الأزمي في كتابه: «الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19» أن: الطريقة التيجانية انتشرت من المغرب إلى السودان الغربي عن طريق الشيخ عمر الفتوي الذي وصل إلى مملكة كانم برنو، وصكتو، ونشر فيها الطريقة التيجانية، وذكر أن هذه الممالك على صلة بالطرق الصوفية، ومن بينها الطريقة القادرية؛ طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني، والطريقة السنوسية، مما يشير إلى



انتماء شعوب تلك الممالك إلى الطرق الصوفية، وهو دليل على انتهاجهم للمنهج السنّي الأشعري الذي كان متأصلاً فيها منذ القدم عبر المغرب الإسلامي.

3 - العقيدة الأشعرية في مملكة «كانم برنو» و «صكتو»

أ- انتشار العقد الأشعري في مملكة «كانم برنو»

«كانم برنو» إمبراطورية قديمة ومترامية الأطراف، حيث تحتل جزءاً كبيراً من النيجر، فنيجيريا وتشاد والكامرون وجزءاً من ليبيا في واحة فزان. وبحكم أطرافها المترامية ولقربها من شمال أفريقيا، فإن الشيخ إبراهيم صالح أشار إلى أن دخول الإسلام إليها كان في بداية القرن الأول الهجري دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا. ويقطنها أعراق وأجناس من البشر أمثال العرب؛ والتبوو والزغاوة والكانوري، والفلاني وغيرها من الأمم التي تقطن هذه الأماكن قديماً وحديثاً، ولم يصبح الإسلام ديناً للدولة إلا في القرن السادس الهجري، حيث يحكم الملوك الشعوب بدين الإسلام، فقد أورد الشيخ إبراهيم صالح في كتابه: «تاريخ الإسلام وحياتة العرب في إمبراطورية كانم برنو» عند كلامه عن ازدهار عاصمة «كانم برنو» مدينة «غسرغمو» في القرن السادس عشر، بأنها ازدهرت ازدهاراً عظيماً في البناء والعمران، وكانت تعج بالعلماء والعارفين، واشتهر منهم عدد من العلماء؛ من بينهم: الشيخ محمد طاهر الفلاتي صاحب نظم الكبرى للسنوسي، والشيخ محمد آجرم، والشيخ اليماني، والدوسي، والمقرني وغيرهم.. والجميع لهم مجهودات علمية ضخمة. وذكر أنه جمع الكثير من مجهوداتهم العلمية وأن الشعب يؤمن بالتصوف الإسلامي والطرق الصوفية. وقد لخص الشيخ طاهر بن إبراهيم فيرمه الفلاني البرناوي جميع آراء السنوسي في العقائد، في منظومته التي اشتهرت عند الناس في «برنو» بالمنظومة الكبرى.

وقد ترجم الشيخ إبراهيم صالح الحسيني في كتابه «الاستذكار لما لعلماء برنو من أخبار وأثار» لمئات من علماء المنطقة ما بين القرن السادس عشر إلى يومنا هذا، وذكر أن هؤلاء الأعلام كلهم مالكيون أشعريُّو المذهب في العقيدة، ونشروا كتب المذهب والعقيدة بين الناس في أرض «كانم برنو».



ومن هنا يظهر جلياً مدى تأصل العقيدة الأشعرية في مملكة «كانم برنو» كدولة، وفي علمائها وجميع مؤسساتهم التعليمية منذ القدم، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على انتشار العقيدة الأشعرية بين شعوب هذه المناطق التي لا زالت تتعلمها وينشرها علماءها بين العامة والخاصة، وترجمت إلى اللغات المحلية كالكانوري وغيرها من مفاهيم المذهب المالكي والأشعري.

ب- انتشار العقد الأشعري في سلطنة «صكتو»

أما سلطنة صكتو فهي أيضاً مترامية الأطراف في غرب إفريقيا، تضم جزءاً كبيراً من شمال نيجيريا الحالية غرباً وصولاً إلى النيجر وجمهورية بنين، وأقصى شمال الشرق في نيجيريا وصولاً إلى بلاد الكاميرون حالياً وجزءاً من جنوب التشاد.

وقد تأسست هذه المملكة في القرن الثامن عشر الميلادي على يد الشيخ بن فودي الفلاني بغرض صدّ البدع التي حدثت في أوساط المجتمعات الإسلامية كقبائل الهوسا وغيرها.. فتأتى له ذلك وبسط حكمه على هذه المناطق، ونشر فيها مفهوم الدين الإسلامي القويم، وكان علمه وتعاليمه على المنهج المغربي المتعامل به اليوم، فقد أورد الشيخ عثمان بن فودي في كتابه المعروف بـ «مجموع الكتب الثلاثة» كلاماً في الكتاب الثالث منه عن أصول الطريق، فذكر في مقدمته ما نصه: «قال الفقير المضطر إلى رحمة ربه عثمان بن فودي بن محمد بن عثمان بن فودي الفلاني نسباً والمالكي مذهباً والأشعري اعتقاداً». ثم واصل كلامه ونقل قول الشيخ أحمد بن عيسى زروق في أصول الطريق، وذكر أيضاً في كتابه «حصن الأفهام في جيوش الأوهام» بعد أن تطرق لذكر فوائد وضرر علم الكلام ما نصه: «وأما أهل علم الكلام كالشيخ أبي الحسن الأشعري وأصحابه ومن تبعهم من أهل السنة فمحمودون فقط، والمذمومون من أهل علم الكلام هم المعتزلة». فمما أورده الشيخ من كلام وجيز يتضح لنا مدى رسوخ العقيدة الأشعرية عند سلاطين مملكة «صكتو»، وقد ترجموا إلى لغة الفلاني والهوسا كتباً كثيرة تحمل في طياتها الأقوال الأساسية في العقيدة الأشعرية، لذلك انتشرت كتب العقيدة الأشعرية بين العلماء والمتعلمين في نيجيريا، وهي متأصلة ومتجذرة عند أهل هذه المناطق، كما أن كتب الفقه



المالكي والعقيدة الأشعرية هي الكتب المتعامل بها في المدارس النظامية منذ وصول الاحتلال البريطاني إلى يومنا هذا، خاصة وأن المدارس النظامية الغربية بها مادة التربية الإسلامية وتُعلّم فيها العقيدة الأشعرية، كما أن هناك مدارس نظامية عربية إسلامية منتشرة في جميع أنحاء نيجيريا، وفيها كذلك مقررات مستمدة من الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية، خاصة المتون المتعارف عليها في العقيدة الأشعرية كأهم البراهين، وجوهرة اللقاني..

4 - واقع التمسك بالمذهب الأشعري: نيجيريا نموذجاً

إن الواقع العملي والنظري- حسبما تقدم- يشير بوضوح إلى الرسوخ الكامل للعقيدة الأشعرية في نيجيريا، علماً بأنها متأصلة فيها منذ القدم؛ عند علماءها التقليديين الذين ساروا على المنهج القويم، كما أن العلماء الذين تعلموا حديثاً لا زالوا على نفس السيرة.

إلا أنه في الآونة الأخيرة وجدت (الجماعات السلفية) طريقاً للوصول إلى المجتمعات النيجيرية، في الثمانينيات من القرن الماضي، فمالت إليهم مجموعات من الشباب المندفع، إلا أنهم سرعان ما عدلوا عنها بجهود من علماء السنة في نيجيريا، ثم عادت هذه «الحركة السلفية» واستفحلت في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي «الحادي والعشرين».

وبعد ظهور الجماعات التكفيرية «بوكو حرام» في نيجيريا التي تحمل حركتها الفكر (السلفي)، عدل الكثير ممن يتعاطفون معهم وبقوا إما في صف رجال الطرق الصوفية؛ المنتمين إلى العقيدة الأشعرية، أو على الحياد دون الميول إلى طرف معين، فنبذوا أفكار التطرف الديني، خاصة وأن هذه الجماعة كانت في بدايتها تكفر الطرق الصوفية، فحكموا على الجميع بالكفر وأحلوا دماءهم؛ الأمر الذي أدى بالكثير منهم إلى العدول عن الأفكار (السلفية). وإن كانت هذه الأفكار لا تزال نشيطة إلا أنها أصيبت بنكسة، وتحاول ملتمت جراحها مع افتقارها إلى القائد عموماً في نيجيريا.



ومن هنا يتضح لنا أن الجماعة (السلفية) من حيث فكرها في نيجيريا لا تختلف عن أي دولة من دول العالم الإسلامي خلال انتشارها بما يزيد على الأربعة عقود، خاصة أن فكرها الدعوي والجهادي وصل إلى طريق مسدود؛ لأن دعوتها بعيدة عن روح الدعوة الإسلامية التي تتماشى مع السليقة.

فمن هذا المنطلق، نرى أن الدخول في جدل مع هؤلاء هو جدل عقيم ولن يؤدي إلى نتيجة، لذا علينا أن نعيد النظر في التعامل مع هذه الأفكار الفاسدة.

وعليه، فإننا نقترح على مؤسسة مولاي محمد السادس أمير المؤمنين للعلماء الأفارقة ما يلي:

أولاً: إعادة صياغة فكرة الكراسي العلمية بما يتناسب مع هذا المطلب، في فروع البلدان المختلفة، والبدء أولاً بكرسي الإمام الأشعري، ثم تليها بقية الكراسي العلمية حسب الظروف والأوضاع في البلد.

ثانياً: إنشاء قنوات محلية بالتنسيق مع القناة المزمع على إنشائها؛ تقوم ببث دروس الكراسي العلمية، لنشرها في الأوساط العامة.

ثالثاً: الوصول إلى الدوائر الرسمية بالوسائل المختلفة لتثبيت هذه الفكرة، حتى يكون لها غطاءً رسمي يحميها.

ثبت المراجع:

- الاقتصاد في تصحيح قواعد الاعتقاد، للشيخ إبراهيم صالح، مؤسسة السيادة للطباعة والنشر، أبوجا، نيجيريا، ط.1: 2017م.

- تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، للشيخ إبراهيم صالح، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط.1: 1976م.

- حصن الأفهام في جيوش الأوهام، للشيخ عثمان بن فودي. (لا توجد معلومات النشر).



- حقيقة أهل السنة والجماعة ومكانة أهل التزكية بينهم، للشيخ إبراهيم صالح، مكتبة الجنيدى، القاهرة، ط: 2010م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان: (1431هـ - 2001م).
- العقيدة المنجية، للشيخ الشريف إبراهيم صالح، مكتبة الجنيدى، القاهرة، ط: 2010م.
- الكافي في علم التزكية، للشيخ الشريف إبراهيم صالح، ط: 2004م.
- مجموع الكتب الثلاثة، للشيخ عثمان بن فودي. (لا توجد معلومات النشر).
- المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير، للشيخ إبراهيم صالح، ط: 1. (1406هـ - 1986م).

